تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 91- سورة غافر | من الأية 96 إلى 67

عبدالرحمن العجلان

الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد. سم بالله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم المتر الى الذين يجادلون في ايات الله انا يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون - 00:00:00

اذا الاغلال في اعناقهم والسلاسل يصحبون ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون - 00:00:32

ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها هذه الايات الكريمة من سورة غافر يقول الله جل وعلا المتر الى الذين يجادلون في ايات الله عما يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به الرسلنا فسوف يعلمون - 00:01:14

الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون الى اخر الايات هذه الايات فيها التعجب من حال الكفار الذين قامت عليهم الحجة في وحدانية الله جل وعلا - 00:01:47

في الخلق والرزق والاحياء والاماتة وهم معترفون بذلك لا ينكرونه لانهم يعترفون ويؤمنون ويصدقون بتوحيد الربوبية وايمانهم بتوحيد الربوبية حجة عليهم لانه يلزمهم الايمان بتوحيد الالوهية لان الخالق الرازق المحيي المميت - 00:02:18

هو المستحق للعبادة والمستحق للعبادة عقلا قبل الدليل الشرعي وقبل الامر الشرعي فلا يليق ان يخلقوا ان يخلق هو ويعبد غيره ويرزق هو ويعبد سواه ولذا قال الله جل وعلا - 00:03:00

بعدما ذكر كمال قدرته في خلقه الخلق من نطفة ثم من علقة الى اخر اطواره وان العبد يتقلب بنعم الله جل وعلا في جميع احواله ثم يتوجه الى غيره في العبادة - 00:03:27

والطلب والقصد قال جل وعلا الم تر الى الذين يجادلون يعني تعجب من احوالهم الشنيعة وجهلهم وضلالهم كيف يجادلون في ايات الله وقد وضحت وبانت واتضحت لذي عقل الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون. يعني كيف يصرفون عن الحق - 00:03:52

وعندهم العقول ولديهم الادلة واضحة بينة انى يصرفون من هم هؤلاء بينهم جل وعلا بقوله الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا المتر الى الذين يجادلون في ايات الله عما يصرفون - 00:04:30

هذه فيما في ظاهرها والله اعلم في حق الكفار وقد قال النسفي رحمه الله ذكر الجدال في هذه السورة في ثلاثة مواضع وجاز ان يكون في ثلاثة اقوام جاز ان يكون - 00:04:58

في ثلاثة اقوام يعني بعظها في الكفار وبعظها في غير الكفار ممن شابههم كما سيأتينا ان هذه الاية قال عدد من المفسرين انها نزلت في القدرية او ثلاثة اصناف او للتأكيد - 00:05:21

يصح ان يكون المراد بها الكفار عموما وانما تكررت لمهم بالجدال بالباطل لتأكيد ذلك قال ابن زيد يعني هؤلاء الذين يجادلون في ايات الله هؤلاء المشركون بدليل قوله جل وعلا فيما بعد ذلك - 00:05:43

الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا. يعني كذبوا بالقرآن وكذبوا بالرسل عموما وهذا ينطبق على المشركين على مشركي كفار قريش ونحوهم وقال القرطبي رحمه الله في تفسيره قال اكثر المفسرين هذه الاية نزلت في القدرية - 00:06:08

وقال ابن سيرين ان لم تكن هذه الاية نزلت في القدرية فلا ادري فيمن نزلت. يعني كانه يجزم الامام محمد ابن سيرين رحمه الله احد سادات التابعين يقول ان لم تكن هذه الاية في القدرية فلا ادري فيمن نزلت - 00:06:38

والمراد بالقدرية نفاة القدر والقدرية طائفتان طائفتان متطرفتان كلاهما ضالتان عن الصراط المستقيم واهل السنة والجماعة وسط بين الطائفتين الظالتين القدرية طائفة قالت افعال العباد كلها افعال لله جل وعلا - 00:07:02

والعبد مجبر وهؤلاء يسمون القدرية الجبرية يعني ان العبد مجبر على اعماله غصن الشجرة تلعب به الريح يمينا وشمالا لا اختيار له وطائفة قالت افعال العباد يفعلونها بانفسهم والله جل وعلا لم يخلقها ولم يعلم عنها الا بعد وجودها من العباد - 00:07:42

واختلفوا هل يقدر ان يعلم قبل وجودها او لا والطائفتان ضالتان الطائفة الاولى قالت العبد لا اختيار له ولا فعل له وانما هو مجبر على ما يأتي به والفعل فعل الله جل وعلا كله - 00:08:21

وطائفة بخلاف ذلك. قالت العبد هو الذي يفعل والله جل وعلا لم يخلق افعال العباد وانما العباد يفعلون افعالهم بانفسهم واهل السنة والجماعة يقولون الله جل وعلا خالق العباد واعمالهم وافعالهم جل وعلا - 00:08:45

وللعبد اختيار وله مشيئة فهو يفعل الفعل باختياره. والله جل وعلا خالق العبد وفعله فالاوائل غلوا في الاثبات لاثبات القدرة لله جل وعلا ونفوا عن العبد اي اختيار واذا وبهذا القول يقولون ان العبد اذا فعل المعاصي والسيئات والكفر والظلال - 00:09:13

وعذب فالله جل وعلا قد ظلمه. تعالى الله لانه هو الذي اجبره على هذا الفعل فكيف يعذبه الطائفة الثانية المعتزلة الاوائل هم الجهمية او طائفة من الجهمية وزعيمهم الجهم ابن صفوان - 00:09:52

والطائفة الثانية المعتزلة قالوا العباد هم الذين يفعلون افعالهم والله جل وعلا لا يفعل على العباد ولا يعلم عنها او يعلم عنها او لا يقدر عليها والايات القرآنية تدل على ان الله جل وعلا هو خالق الخلق واعمالهم - 00:10:12

وان للعبد مشيئة واختيار وارادة هذا امر بالطاعة فاطاع ففعل الطاعة باختياره. ورظا وقناعة احتسابا وطلبا للثواب من الله جل وعلا والاخر امر بالطاعة فعصى وعمل الكفر والضلال باختياره ولم يكن مجبر ولم يكن ملزم بذلك - 00:10:39

بل هو الذي اختار الظلال والشقاء والكفر وسائر المعاصي اختارها باختياره والله جل وعلا يعلم ازلا ما العباد عاملون ولا يوجد في الكون شيء الا الله جل وعلا خالقه. فالله جل وعلا خالق العباد وافعالهم - 00:11:07

والعبد يفعل الفعل باختياره وارادته يختار طريق السلامة والسداد والتوفيق. فيسعد في الدنيا والاخرة او يختار طريق الضلال والشقاء والكفر والبعد عن طاعة الله جل وعلا فيشقى في الدنيا والاخرة - 00:11:35

والله جل وعلا وهب العباد العقول وجعل لهم النظر والتأمل والتدبر والاختيار فهذا يختار هذا الطريق وهذا يختار هذا الطريق باختياره. فمثلا ولله جل وعلا المثل الاعلى رجلان نائمان جئت اليهم - 00:11:59

فايقظت احدهم وقلت يا اخي حان وقت الصلاة. فقال جزاك الله خيرا. بارك الله فيك. وقام وتوظأ وذهب الى المسجد هل هذا مجبر هل جر بالسلاسل والحديد هل سيق شوقا عنيفا - 00:12:30

باختياره واستجاب لنداء الله على لسان عبد من عباد الله الصالحين والاخر ايقظته وقلت له يا اخي قد حان وقت الصلاة فقم من الصلاة فتكلم عليك وسبك ووبخك وقال لست موكلا علي - 00:12:49

وانا لي الاختيار وانا لا اريد ان اذهب معك للصلاة وافعل ما شئت الى اخره هل هذا مجبر على هذا القول؟ فيه من يسوقه او يلقي عليه هذا القول برغم انفه؟ لا هو قال هذا - 00:13:13

القول باختياره هو رفض الطاعة باختياره وابعد عن طاعة الله جل وعلا باختياره والله جل وعلا لا يخفى عليه ما العباد عاملون وقدر ما قدر قبل ان يخلقهم تعالى نتقدس - 00:13:31

علينا ان نفرق بين الطائفتين الظالتين ونسلك مسلك اهل السنة والجماعة في ان الله جل وعلى خالق الخلق لا خالق سواه وهو خالق الخلق وافعالهم وللعباد اختيار ونظر منهم من - 00:13:51

نظر واختار فاختار الصلاح والهداية والاستقامة ومنهم من نظر لنفسه فاختار طريق الشقاء والهلاك بالله وهاتان الطائفتان يقال لهم

القدرية والقدرية اذا اطلقت يطلقون على القدرية نفات القدر. يعني يقولون ان العبد يخلق فعل نفسه - 00:14:14
واولئك يقال لهم الجبرية وكلاهما من الفرق الضالة المنحرفة عن الصراط المستقيم والقدرية ورد انهم مجوس هذه الامة بل قال كثير من علماء السلف هم شر من المجوس لان المجوس اثبتوا خالقين اثنين النور والظلمة - 00:14:39
وهؤلاء القدرية نفاة القدر اثبتوا خالقين لا خالقين اثنين بل خالقين كثير قالوا كل يخلق فعله هو الذي يخلق فعله. والله جل وعلا لم يخلق ذلك ولذا قال كثير من المفسرين ان هذه الاية - 00:15:08
الم ترى الى الذين يجادلون في ايات الله عنا يصرفون قال نزلت في القدرية يعني نفاة القدر الذين هم هذه الامة وصف جل وعلا هؤلاء بقوله الذين كذبوا بالكتاب كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون - 00:15:34
كذبوا بكتاب الله جل وعلا وبما ارسل به الرسل صلوات الله وسلامه عليه يقول جل وعلا اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون الاغلال في اعناقهم - 00:16:02
الاغلال في اعناقهم هذا وعيد شديد من الله جل وعلا وخوفهم بذلك وامر جل وعلا عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ان يبين لهم ذلك لعلهم يرعون ويتوب فقال اذكر - 00:16:27
اذ الاغلال في اعناقهم اذكر لهم ذلك وقت اذ بمعنى وقت ان الاغلال في اعناقهم والسلاسل معطوف على الاغلال والسلاسل يسحبون في الحميم وفي السلاسل قراءات ثلاث والسلاسل على اساس انها مبتدع - 00:16:50
يعني مبدأ جملة والواو عاطفة جملة على جملة. اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون وجملة يسحبون الخبر والعائد محذوف ان يسحبون فيها او بها والقراءة الثانية والسلاسل يسحبون قراءة عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وعبدالله ابن مسعود رضي الله عنه وغيرهما من الصحابة رضي الله عن الجميع - 00:17:26
والسلاسل يسحبون للمعلوم يعني يسحبون السلاسل والسلاسل على انها مفعول مقدم ليسحبون يسحبون السلاسل وقرأ بالجر اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل والسلاسل قالوا معطوفة على تقدير خافظ وعليهم السلاسل او وفيهم وفي في السلاسل - 00:18:01
يسحبون والقراءات الثانية يسحبون على ان السلاسل منصوبة تكون يسحبون السلاسل والسلاسل معروفة هي الحدائد المدخل بعضها بالبعض المرددة وهي والعياذ بالله مخصوصة اهل النار في نار جهنم والعياذ بالله - 00:18:43
وقد ورد في وصفها احاديث كما قال صلى الله عليه وسلم فيما روي لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى جمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمس مئة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من رأس السلسلة لسارت - 00:19:09
اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ اصلها. يعني اصل السلسلة والعياذ بالله والتسلسل وماء سلسل بمعنى يتردد وذلك ان السلسلة مرددة حديثها ليست كالحديد الممدود وانما هي مردد يعني - 00:19:35
منظم بعضه ببعض كما هو معروف والحميم الماء الحار الشديد يسحبون في الحميم الماء الحار او الحميم نار جهنم ثم في النار يسجرون يشترون يوقد عليهم. يقال سجرت النار يعني اوقدتها - 00:20:03
يشجرون يعني تملأ بهم النار كما في قوله جل وعلا والبحر المسجور يعني اي المملوء المشكور ويشترون بمعنى يحرقون في النار او توقد عليهم النار او بمعنى تملأ بهم النار - 00:20:30
ثم في ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم قيل جاء بها جل وعلا على بصيغة الماضي وهو للمستقبل يقال لهم الدلالة على تحقق وقوع هذا الشيء كما قال الله جل وعلا اتى امر الله فلا تستعجلوه - 00:20:56
يؤتى بصيغة الماضي للدلالة على تحقق الشيء المستقبل ثم قيل لهم وهو شيء يقال لهم حينما يدخلون في النار ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون. يقال لهم على سبيل التوبيخ - 00:21:21
والتعذيب والتنكيل واللوم اين الهتكم التي تعبدونها؟ تنفعكم الان دعاكم دعتكم الرسل لعبادة الله وحده فرفضتم. ورددتم الى ربكم جل وعلا فعذبكم لعصيانكم اينما كنتم مشركون اين هم قالوا اينما كنتم تشركون من دون الله تشركون مع الله جل وعلا في العبادة. والعبادة لا يستحقها الا - 00:21:43

وحده لا شريك له لماذا اجابوا؟ قالوا ضلوا عنا ذهبوا لا ندري اين هم لا وجود لهم نكن ندعو من قبل شيئا قال كثير من المفسرين ما انكروا عبادتهم للاصنام - 00:22:18

وانما انكر الاصنام. قالوا ليست بشيء. كنا نظنها شيء. فتبين لنا انها ليست بشيء من لم نكن ندعو من قبل شيئا. يعني دعونا من لا يستحق الدعاء ورجونا من لا يستحق الرجاء. وعابدنا من لا يستحق العبادة - 00:22:43

كذلك يظل الله الكافرين. هكذا يظل الله جل وعلا الكافرين. المعاندين المعرضين عن طاعة الله وطاعة رسوله يظلهم وهم يحسبون انهم على حق ويحسبون انهم على هدى ولهذا كفار قريش ينتقدون الرسول صلى الله عليه وسلم - 00:23:10

ويقولون ان كنت تريد ان تكون وان تكون فاترك ما تدعو اليه واسلك ما نسلك حتى نعطيك ما اردت كذلك يضل الله الكافرين ذلكم يعني هذا العذاب الشديد وهذا الهوان وهذا التوبيخ - 00:23:36

بسببي بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق الفرح الايمان وطاعة الله جل وعلا هذا مطلوب ومستحب والفرح بالكفر والضلال والبطر واذى عباد الله لان من الخلق والعياذ بالله من يتنعم ويتلذذ - 00:23:57

بتعذيب عباد الله الصالحين وهو يسر ويفرح لتعذيب الصالحين. فقال الله جل وعلا لهم ذلك بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق اما الفرح بالحق هذا محمود ومستحب وبما كنتم تفرحون وتمرحون. المرح - 00:24:27

هو الاذى والتعذيب والتسلط وقيل زيادة الفرح بان يخرج المرء عن حد الاستقامة وحد العقل يصيبه البطر والتسلط لان الفرح بغير حق يتدرج فيه المرء اولا يفرح ويسر ويكون عنده نشوة ثم بعد ذلك يكون عنده التسلط - 00:24:55

على الاخيار التسلط على عباد الله والاذى ولا كما يقال فلان لا يوقف في وجهه في الاذى يعني يؤذي اذى شديدا والله جل وعلا بين لهم ان عذابهم ذلك بسبب هذا الفعل الصادر منهم - 00:25:31

وبينه جل وعلا للعباد في دار الدنيا حتى يكون العبد على بينة من امره ان استقام فله الجنة وكما بين الله جل وعلا في الايات السابقة وان انحرف عن الصراط المستقيم فهذا سيخون مآله وواقفه - 00:25:54

ومستقبله هذا سيكون مستقبله وكما عبر الله جل وعلا عنه بالماضي لتحقق وقوعه في انه متحقق لا لا محالة يقول الله جل وعلا ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابواب جهنم بينها الله جل وعلا في ايات اخر انها سبعة لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء - 00:26:14

مقسوم لان كل اهل من الضلال لهم باب مخصوص في جهنم والعياذ بالله ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها يعني دائمين مستمرين بعد دخول ليس بعده ظعن ولا رحيل بئس مثوى - 00:26:47

سؤال ومنقلب ومستقر المتكبرين المتعاظمين على طاعة الله وفي هذه الاية ذم للكبر. وقد توعد النبي صلى الله عليه وسلم من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر وحينما خشي احد الصحابة رضي الله عنهم ان يكون محبة المرء للحسن ان يكون هذا من الكبر. قال يا رسول - 00:27:15

والله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال الكبر ان الله جميل يحب الجمال الكبر قطر الحق وغمط الناس مطر الحق وغمط الناس اي رد الحق وعدم قبوله - 00:27:45

والله جل وعلا يقول بئس مثوى المتكبرين التي هي جهنم. المخصوص بالذنب محذوف تقديره جهنم بئس المثوى مثواهم ان مآلهم اليها يقول تعالى الا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بايات الله - 00:28:03

ويجادلون في الحق والباطل كيف تصرفون كيف تصرف عقولهم عن الهدى الى الظلال؟ وتقدم لنا ان المجادلة تكون مجادلة لاثبات الحق. وهذه مأمور بها كما قال الله جل وعلا وجادلهم بالتي هي احسن - 00:28:29

ومجادلة اظهار الباطل ودحظ الحق وهذه المذمومة في هذه الاية والايات الاخر الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا اي من الهدى والبيان فسوف يعلمون هذا تهديد شديد هذا العذاب حقيقة لا محالة - 00:28:49

كما قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين يومئذ اي يوم القيامة وقوله اذ الاغنال في اعناقهم والسلاسل اي متصلة بالاغلال بايدي الزبانية

يصحبون على وجوههم تارة الى الحميم وتارة الى الجحيم. ولهذا - 00:29:15
والغل هو القيد اليدين مع الرقبة او خلف الظهر والعياذ بالله نعم يسحبون في الحميم ثم في النار يسترون كما قال هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون. يطوفون بينها وبين حميم الان - 00:29:38
وقال بعد ذكره اكلهم الزقوم وشربهم الحميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وقال واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم. لا بارد ولا كريم الى ان قال - 00:30:01
ثم انكم ايها المكذبون. لاكلون من شجر من زقوم منها البطون وشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم. هذا نزلهم يوم الدين وقال ان شجرة الزقوم طعام الاثيم المهل يغلي في البطون كغلي الحميم - 00:30:24
خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم. ذق انك انت العزيز الكريم. ان هذا ما كنتم به تمترون يعني هذا العذاب الذي كنتم تشكون به في الدنيا غير موقنين به - 00:30:51
غير المصدقين بالبعث يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتحقير والتصقير والتهكم والاستهزاء بهم قال ابن ابي حاتم رفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ينشئ الله سبحانه لاهل النار - 00:31:11
سوداء مظلمة ينشئ الله سحابة لاهل النار سوداء مظلمة. ويقال يا اهل النار اي شيء اي شيء تطلبون؟ الا تريدون يا اهل النار وهم يرون السحابة فوقهم وكانوا يعرفون السحب في الدنيا انها تمطر الماء - 00:31:33
العذب نعم ويذكرون بها سحاب الدنيا فيقولون نسأل برد الشراب وتمطرهم اغلالا تزيدهم اغلالا وسلاسلا تزيدهم من سلاسلهم وجمرا يلهب النار عليهم هذا حديث غريب وقوله ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله - 00:31:53
قيل لهم اين الاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم قالوا ضلوا عنا اي ذهبوا فلم ينفعونا ان لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي جحدوا عبادتهم كقوله تعالى - 00:32:21
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ولهذا قال كذلك يظل الله الكافرين وقوله ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون - 00:32:43
اي تقول لهم الملائكة هذا الذي انتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم واشركم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين كيف بئس المنزل والمقيل الذي فيه الهوان والعذاب الشديد - 00:33:04
لمن استكبر عن ايات الله واتباع دلائله وحججه الله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:33:28